

زينة المرأة.. المسموح والممنوع



لقد كثرت أدوات الزينة والتجميل في عصرنا، حتى غدا "المكياج" فناً من الفنون، وعلماً من العلوم، يدرّس في المدارس والمعاهد والجامعات.. وأصبحت صالونات التجميل أكثر عدداً من الصيدليات، وصارت أسواقنا غارقة بالمساحيق والدهون وأدوات التجميل الغربية، بألوانها المختلفة الزاهية.. وتحوّلت المرأة في العالم العربي والإسلامي إلى أعظم مستهلكٍ لبضائع المعامل الأوروبية، والشركات الأجنبية... وإننا لو أحصينا مقدار الاستهلاك السنوي للمواد التجميلية لأي قطرٍ من أقطارنا الإسلامية لذُهلنا من الأرقام التي تسجّلها التقارير الصادرة من الدوائر العامة المشرفة على المواد الاستهلاكية. وفي خضم أجواء التسابق المحموم في إبداء زينة المرأة، وإظهار معالم أنوثتها، ومفاتيح الجمال في جسدها، أصبح الشغل الشاغل للكثير من النساء في عالمنا الإسلامي هو الاهتمام بزینتهنّ، والإمعان في أن تظهر إحداهنّ جميلةً فاتنة تبرزُ زميلاتها، وتجذبُ أكبر عددٍ من عيون الرجال إليها. حتى راحَ البعض يفلسفون تلك المظاهر ويضعونها تحت شعار الحرية والانطلاق الذي يؤدي إلى التعبير الصادق الذي يخلّص المرأة من الكثير من العقد النفسية التي عاشتها النساء جرّاء عمليات الكبت لحاجات الغريزة الأنثوية، ولما طُبعت عليه المرأة من حبٍّ للزينة والجمال! وإذا كانت تلك المقولات قد استغفلت الكثير من النساء في عالمنا الإسلامي، إلا أنّ المرأة المسلمة الملتزمة اليوم، لم تعد تنخدع بها على الإطلاق... بعد أن وعت إسلامها العزيز، وأدركت مدى الحكمة البالغة في منهجه الذي يرسمه القرآن الكريم... ذلك الكتاب

القيِّم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وإنَّنا نقرأ ونسمع كلَّ يوم أنباءً عن تلحم النسوة اللاتي كُنَّ بالأمس القريب يعرضنَ زينتهنَّ ومفاتنهنَّ في عالم السينما والمسرح تحت شعار "الفن" و"الرقى"، حيث نراهنَّ اليوم وقد هجرنَ كلَّ الأضواء الساطعة، والألقاب الكبيرة، والصفقات المليونية، وعدنَ إلى وعيهنَّ ورشدنَّ وأصالتنَّ. تقول إحداهنَّ في هذا المضمار: "لقد كُنَّا نصلي وندعو إلى الله كي ينجح الفيلم مثلاً، ونصوم ونضع المساحيق على وجوهنا ونقول: (إحنا ما بنعملش حاجة غلط)!! إنَّ هذا هو أساس الغلط، وكلَّ الغلط: إمراة جميلة يرى جمالها المصورُّ والمخرج والفنيون، وهي في ملابس (باريس)، وآخر صيحات الموضة، تتحدث مع ممثل مثلها لتقول كلمات حبِّ، أو من خلال قصة حبِّ ليرى الناس بعد ذلك كلَّ هذا، وتقول: "إنَّه الفن ما فيهوش حاجة غلط)!!" وتحوَّلت السيدة هذه الفنانة من الجرأة التي كان همها زينتها ومفاتنها، إلى تلك المرأة المحجبة التي راحت تحملهم دعوة النساء اللواتي خدعتهنَّ صرخات "الفن" و"الموضة" إلى العودة إلى وعيهنَّ وقرآنهنَّ: "إنَّ القرآن الكريم أمَرَ المرأة بغض البصر، وأمَرَ الرجال بغض البصر عنها، فكيف نضعها لتكون "فرجة" يستمتعُ بالنظر إليها أيُّ من الرجال!!". الزينة الظاهرة والزينة الباطنة: لم يمنع القرآن الكريم المرأة من إظهار زينتها، واستعمال ما تحبُّ من أدوات الزينة والتجميل، لأنَّ ذلك من طبيعتها وفطرتها التي فطر الله النساء عليها، باعتبارها الإنسان الذي يمتلك المشاعر المرهفة، والعواطف الجياشة، ويرنو إلى الزينة والجمال.. بل اعتبر القرآن ذلك حقاً طبيعياً للمرأة: (أَوَمَنْ يُدَشِّشُ آؤُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) (الزخرف/ 18). وقد رسم القرآن منهاجاً رائعاً في تنظيم تلك الرغبة الفطرية، وأعطى الضوابط والحدود التي تجعل المرأة على بيِّنةٍ من أمرها في تعاملها مع الزينة والتزيين واستعمال أدوات التجميل: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (النور/ 31). من خلال هذا النص القرآني يتبيَّن لنا جيداً أنَّ هناك نوعين من الزينة للمرأة: النوع الأوَّل: الزينة الظاهرة: وهي التي يُسمحُ للمرأة ابدأؤها، ويجوز لها اظهارها إلا لأناس معينين قد حدَّتهم الآية المباركة ذاتها: (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَخْمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ بَنَاتِهِنَّ) (النور/ 31). معنى الزينة: اتجاهاً أساسيان: هناك اتجاهاً في تفسير معنى الزينة في قوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (النور/ 31). الاتجاه الأوَّل: جسد المرأة وملامحها الطبيعية: ويذهب أصحاب هذا الاتجاه في التفسير إلى أنَّ المقصود من الزينة هو مواضع الزينة من جسم المرأة، وليس الزينة نفسها. وبذلك تكون الزينة وفق هذا الاتجاه تشمل أعضاء جسم المرأة وملامحها الطبيعية. يقول صاحب

تفسير الميزان العلامة الطباطبائي: "المرادُ بزینتھن" مواضعُ الزینة، لأنَّ نفس ما يُتزیَّن به كالقرط والسوار لا یحرم إبداءه، فالمراد بإبداء الزینة إبداءُ مواضعها من البدن". وهذا الرأي الذي یفسِّر الآیة تفسیراً کنائياً ذهب إليه صاحب تفسیر مجمع البیان العلامة الطبرسي في القرن السادس الهجري، حيث یقول: "ویُظہِرُنَ مواضع الزینة لغير محرّم ومن هو في حُکمہ، ولو یُرد نفس الزینة، لأنَّ ذلك مما یجوز النظر إليه، بل المراد مواضع الزینة". ویذكر الزمخشري صاحب تفسیر الکشاف، في القرن السادس الهجري، السرّ في هذا التعبير کنائياً في ذکر الزینة وعدم ذکر مواضعها، فیقول: "وذكر الزینة دون مواضعها للمبالغة في الأمر بالتصوُّن والتستر، لأنَّ هذه الزینة واقعة على مواضع من الجسد لا یحلُّ النظر إليها لغير هؤلاء، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والرأس والصدر والأذن...".

الاتجاه الثاني: أدوات التجميل والمجوهرات والثياب: یدهب أصحاب هذا الاتجاه في التفسیر، وهو الظاهر، إلى أنَّ المقصود من الزینة في قوله تعالى: (وَلَا یُذِیْنَنَّ زَیْنَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) هو الزینة نفسها، وهي في مواضعها من جسد المرأة باعتبار أنَّ الظاهر من كلمة "الزینة" هو الأمور والأشیاء الخارجیة التي تُضاف على الخلقة والطبیعة التکوینیة. ویستشهد أصحاب هذا الاتجاه في التفسیر بقوله تعالى: (إِنَّ زَیْنَتَهُنَّ مَا عَلاَی الْأَرْضِ زَیْنَتَهُنَّ لَیْسَ لَهَا) (الکهف/ 8)، لاستجلاء معنی الزینة، باعتبار أنَّ الذي على الأرض من نبات وعمران وغيرها یُعتبرُ زینةً للأرض، وبذلك یكون معنی زینة المرأة هو کُلُّ ما تزیّنت به من حُلّیٍّ وثیبٍ وأدوات تجميل.. یقول العلامة الشهید مرتضی المطهری في کتابه القیّم "مسألة الحجاب": "إنَّ كلمة "زینة" في لغة العرب شاملة لألوان التجمّل التي تلتصق بالبدن كالخضاب والكحل، والتي تنفصل عنه كالمجوهرات والذهب". ولهذا نستطيع أن نقول إنَّ الزینة - على هذا الاتجاه - تكون على نوعین: النوع الأوّل: الزینة الملتصقة: وهي ما تتزیَّن به المرأة من أدوات تجميل كالحُمرّة والكحل وما شابههما من المساحيق التجمیلیّة التي تستعملها النساء عادةً.. النوع الثاني: الزینة المنفصلة: وهي ما تتزیَّن به من أشیاء تنفصل عن بدنها، وتشمل كل ما تلبسه من حلیٍّ ومجوهرات، وقد أضاف بعضهم ما تلبسه المرأة من ملابس وثياب. یقول صاحب تفسیر "من وحی القرآن" العلامة فضل الله - حفظه الله -: "ولعلَّ هذا الاحتمال هو الذي یظهر من طبیعة الكلمة في مدلولها اللغوي، الذي یعنی ما تتزیَّن به المرأة من الأشیاء الخارجیة... ولا یُنافی ذلك أنَّ الزینة مما یجوز إظهاره في نفسه، لأنَّ المقصود به هو الزینة في مكانها من الجسد، لا في مكان آخر.. ولكنَّ هناك حديثاً عن الإمام جعفر الصادق (ع) فیما رواه في الکافي بإسناده في الفضیل، قال: "سألْتُ أبا عبداً (ع) عن الذراعین من المرأة، هما من الزینة التي قال الله (وَلَا یُذِیْنَنَّ زَیْنَتَهُنَّ)"، قال (ع): نعم وما دون الخمار من الزینة، وما دون السوارین" مما یؤكد

أنّ المراد بها مواضع الزينة". الزينة الظاهرة: الحدود والمواصفات: ومن خلال الاتجاهين السابقين في تفسير معنى الزينة، يتبيّن لنا المقصود من الزينة الظاهرة في قوله تعالى: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا). فعلى الاتجاه الأوّل يكون معنى الزينة الظاهرة هو بعض الأعضاء التي سمحت الشريعة الإسلامية للمرأة اظهارها وابدائها في المجتمع، وهما الوجه والكفّان. وهو ما يظهر من بعض الروايات. وعلى الاتجاه الثاني يكون معنى الزينة الظاهرة هو بعض الأشياء التي تتزيّن بها المرأة من أدوات الزينة، وإن اختلفت الروايات في تحديدها. ففي رواية زراعة عن أبي عبد الله الصادق (ع) في قوله تعالى: (إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا)، قال (ع): "الزينة الظاهرة الكحل والخاتم". وفي رواية علي بن إبراهيم القمّي، عن أبي جعفر الباقر (ع) في الآية، قال (ع): "هي الثياب والكحل والخاتم وخضاب الكفّ والسّوار. والزينة ثلاث: زينة للناس، وزينة للمحرم، وزينة للزوج، فأما زينة الناس فقد ذكرناها، وأما زينة المحرم فموضع القلادة فما فوق، والدّمّ ملح (سوار العضد) وما دونه، والخلخال وما أسفل منه، وأما زينة الزوج فالجسد كلّّه". يقول العلامة المطهري بعد استعراضه للروايات التي تتحدث عن الزينة: "على أي حال، فهذه الروايات تُفهم أنّ ستر الوجه والكفين حتى المعصم غير واجب على المرأة، ولا مانع أيضاً حتى من اظهار الزينة الاعتيادية المتعارف عليها التي توجد في هذين القسمين (الوجه والكفين) كالخضاب والكحل، حيث لا تخلو المرأة منها، وحيث أنّ إزالتها عمّال خارج عن الحدود العادية". ويبقى الحكم الشرعي ليس من اختصاص هذا البحث التفسيري، ولهذا فإنّ على الإنسان أن يرجع في ذلك إلى المجتهد الذي يقلّدّه. المصدر: مجلة نور الإسلام/ العددان 45 و46 لسنة 1994م